سلسلة رسائل الهدي الأوّل (١)

الوصيّة بالتّوحيد والسّنّة

كتبه

أبو المهند شكري بن التوفيق بن عثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فهذه وصيّة أسوقها لعموم المسلمين منبّها على أهمّ أصلين يجب التمسك بهما للنّجاة في الدّارين، فإنّ الفتن قد كثرت، والبدع فشت، وانتشر الشّرك بالله عزّ وجلّ والتولّي عن شريعته والإعراض عن هدي النّبوّة.

ففي الصّحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتّى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنّصارى قال: «فمن»"[1]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم السّاعة حتّى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة".[2]

وذو الخلصة طاغية دوس الّتي كانوا يعبدون في الجاهليّة.

وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٥٦)، صحيح مسلم (٢٦٦٩).

(٢) صحيح البخاري (٧١١٦)، صحيح مسلم (٢٩٠٦).

"لا تقوم السّاعة حتّى تلحق قبائل من أمّتي بالمشركين، وحتّى تعبد قبائل من أمّتي الأوثان" قال التّرمذي: هذا حديث صحيح.[1]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء."[2]

وفي مسند أحمد عن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لتنقضنّ عرى الإسلام عروة عروة، فكلّما انتقضت عروة تشبّث النّاس بالّتي تليها، وأوّلهنّ نقضا الحكم وآخرهنّ الصّلاة "[3]

وفي صحيح البخاري عن الزّبير بن عديّ، قال: "أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاج، فقال: «اصبروا، فإنّه لا يأتي عليكم زمان إلّا الّذي بعده شرّ منه، حتّى تلقوا ربّكم» سمعته من نبيّكم صلى الله عليه وسلم."[4]

وفي البدع لابن وضاح بسنده عن حذيفة بن اليمان أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه: "هل ترون ما بين هذين الحجرين من النّور؟ قالوا: يا أبا عبد الله، ما نرى بينهما من النّور إلّا قليلا، قال: والّذي نفسي بيده لتظهرنّ البدع حتّى لا يُرى من الحقّ إلّا قدر ما ترون ما بين هذين

---

(١) مسند أحمد (٢٢٤٥٢)، سنن الترمذي (٢٢١٩)، سنن أبي داود (٤٢٥٢)، سنن ابن ماجه (٣٩٥٢).

(٢) صحيح مسلم (١٤٥).

(٣) مسند أحمد (٢٢١٦٠).

(٤) صحيح البخاري (٧٠٦٨).

الحجرين من النّور، والله لتفشونّ البدع حتّى إذا ترك منها شيء قالوا: تُركت السّنّة ."[1]

وفي البدع لابن وضّاح من طريق عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن حبان بن أبي جبلة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "لو خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليكم اليوم ما عرف شيئا ممّا كان عليه هو وأصحابه إلّا الصّلاة"، قال الأوزاعيّ: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى: فكيف لو أدرك الأوزاعيّ هذا الزّمان؟[2]

ونحن نقول كيف لو أدرك عيسى بن يونس أو الأوزاعي أو أبو الدرداء هذا الزمان.

وفي البدع لابن وضّاح بسنده عن الحسن البصري [ت ١١٠ هـ] قال: "أدركت عشرة آلاف من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم، لو رأوكم لقالوا: ما هؤلاء، مجانين؟ ولو رأيتموهم لقلتم: هؤلاء مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما لهؤلاء عند الله من خلاق."[3]

---

(١) البدع لابن وضاح (١٥١).

(٢) المصدر السابق (١٥٧).

(٣) البدع لابن وضاح (أثر ١٥٩).

وفي الجرح والتّعديل لابن أبي حاتم بسنده عن سفيان الثّوري [ت١٦١هـ] رحمه الله في رسالته لعبّاد بن عبّاد قال: "سألتَ أن أكتب لك كتابا أصف لك فيه خلالا تصحب بها أهل زمانك، وتؤدّي إليهم ما يحقّ لهم عليك، وتسأل الله عزّ وجلّ الّذي لك، وقد سألت عن أمر جسيم، النّاظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحد، وكيف يستطاع ذلك؟ وقد كدر هذا الزّمان أنّه ليشتبه الحقّ والباطل، ولا ينجو من شرّه إلا من دعا بدعاء الغريق، فهل تعلم مكان أحد هكذا؟ وكان يقال: يوشك أن يأتي على النّاس زمان لا تقرّ فيه عين حكيم، فعليك بتقوى الله عزّ وجلّ والزم العزلة واشتغل بنفسك واستأنس بكتاب الله عزّ وجلّ، واحذر الأمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنوّ منهم، فإن استطعت أن تأمر بخير في رفق فإن قُبل منك حمدت الله عزّ وجلّ، وإن ردّ عليك أقبلت على نفسك فإنّ لك فيها شغلا، واحذر المنزلة وحبّها فإنّ الزّهد فيها أشدّ من الزّهد في الدّنيا، وبلغني أنّ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم كانوا يتعوّذون أن يدركوا هذا الزمان وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلّة علم وبصر، وقلّة صبر وقلّة أعوان على الخير، مع كدر من الزّمان وفساد من النّاس، وعليك بالأمر الأوّل والتمسك به، وعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول، وعليك بالعزلة وقلّة مخالطة النّاس."(١)

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٨٧).

وفي البدع لابن وضّاح بسنده أنّ عبد الله بن المبارك [ت ١٨١هـ] رحمه الله قال: "اعلم – أي أخي– أنّي أرى أنّ الموت اليوم كرامة لكلّ مسلم لقي الله على السّنّة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلّة الأعوان وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلّ بهذه الأمّة من ذهاب العلماء وأهل السّنّة وظهور البدع."(١)

فانظر إلى كلام هؤلاء مع ما أدركوه من الخير وظهور الشريعة ووفرة أهل العلم، وقارن زمانهم بزماننا، وانظر ما عسانا نقول، فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

فإذا عرفت ذلك معرفة قلب فاعلم أن النّجاة والمخرج من ذلك إنّما هو بالتمسك بأصلين عظيمين، هما لك بمثابة سفينة نوح عند الطوفان، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ألا وهما: **التوحيد والسنّة**.

فأمّا الأصل الأوّل فهو توحيد الله تعالى والموالاة فيه وتكفير من تركه، والبراءة من الشرك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.

فمن أجل هذا الأصل العظيم خلق الله الخلق جنّهم وإنسهم، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)

---

(١) البدع لابن وضاح (أثر ٩٧).

ومن أجله أخذ الله الميثاق على بني آدم بعدما أخرجهم من صلب أبيهم ونثرهم كالذر وشهدوا بالتوحيد، قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣)

ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع وأقام الملة والدّين، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل: ٣٦)

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥)

وقال تعالى ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الزخرف: ٤٥)

ومن أجله شرع الله الجهاد، قال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٩)

ومن أجله شرع الله الهجرة، قال تعالى ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (العنكبوت: ٥٦)

ومن أجله قسّم الله الخلق إلى شقي وسعيد، قال تعالى ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٧٣)

وقد تولّى الله سبحانه تفسير هذا الأصل وبيانه وإيضاحه، فأقام بذلك الحجّة وقطع الشبهة، وأزال العذر، فلم يبق إلا العناد أو الإعراض.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزخرف: ٢٦ — ٢٨)

وقال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ (الممتحنة: ٤)

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (فاطر: ١٣ — ١٤)

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (غافر: ٦٦)

وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الجن: ١٨)

فاستمسك رعاك الله بهذا الأصل العظيم فلا تعبد غير الله، ولا تتوكل إلا على الله، ولا تعلّق قلبك بغيره، ولا تدع عند الشدائد ملكا ولا نبيّا ولا وليّا وإنما

تخلص الدعاء لله وحده، كما قال تعالى ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (غافر: ١٤).

واحكم بالتكفير على كلّ من صرف شيئا من العبادة لغير الله، واجعل بينك وبينه البراءة والعداوة حتّى يوحّد الله ويفرده بما يختصّ به من الربوبيّة والألوهيّة والأسماء والصّفات، وإيّاك من وساوس الشيطان وحزبه فيغوونك ويقولون لك لعلّه جاهل أو متأوّل أو هازل، فقد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ووضّح السابلة وأنار المنهج لكلّ ذي عينين فانقطع العذر وارتفعت الشبهة في أصل الدين.

قال تعالى ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء: ١٦٥)

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الشورى: ١٦)

قال أبو محمد البربهاري [ت٣٢٩ هـ] في شرح السنّة :" ولا نخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله، أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، فإذا فعل شيئا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، وإذا لم يفعل شيئا من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة." (١)

وقال محمد بن نصر المروزي [ت ٢٩٤ هـ] في تعظيم قدر الصّلاة :" والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر" (٢)

(١) شرح السنة للبربهاري ص٧٢

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٠)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :" ولا ريب أن الله تعالى لم يعذر أهل الجاهلية، الذين لا كتاب لهم، بهذا الشرك الأكبر، كما في حديث عياض ابن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب " فكيف يعذر أمة كتاب الله بين أيديهم، يقرؤونه، ويسمعونه، وهو حجة الله على عباده " (١)

وأمّا الأصل الثّاني فهو السنّة، والمراد بذلك الأصول التي يُنسب للسّنّة من تمسّك بها كلّها، ويُنسب للبدعة من خالف منها أصلا واحدا.

قال الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور: ٦٣)

وقال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ (النساء: ١١٥)

قال عمر بن عبد العزيز [ت ١٠١ هـ]: "سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوّة على دين الله عزّ وجلّ، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتّبع غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى."(٢)

وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ (آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧)

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجديّة (٤٦٦/١١)

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (أثر ٧٤٣)، والابانة الكبرى لابن بطة (أثر ٢٤١).

أخرج اللّالكائي بسنده عن ابن عبّاس في قوله تعالى: {يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ} قال: "فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة." اهـ (١)

وقال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (المائدة: ٣)

قال الإمام مالك رحمه الله [ت ١٧٩ هـ]: " من أحدث في هذه الأمّة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله تعالى يقول {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا." اهـ (٢)

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة " قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. (٣)

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة للالكائي (٧٩).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم بسنده عن الإمام مالك (٦/ ٥٨)، والاعتصام للشاطبي (١/ ٦٧).

(٣) مسند أحمد (١٧١٤٤)، سنن أبي داود (٤٦٠٧)، سنن الترمذي (٢٦٧٦)، سنن ابن ماجه (٤٢).

وأخرج أحمد والدارمي عن عبد الله بن مسعود قال: "خطّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، خطّا بيده، ثمّ قال: " هذا سبيل الله مستقيما "، قال: ثمّ خطّ عن يمينه، وشماله، ثمّ قال: " هذه السّبل، ليس منها سبيل إلّا عليه شيطان يدعو إليه " ثمّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)" (١)

وفي صحيح البخاري أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: " يا معشر القرّاء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتم ضلالا بعيد." اهـ(٢)

وفي الإبانة الكبرى عن عثمان بن حاضر، قال: قلت لابن عباس: أوصني، قال: "عليك بالاستقامة، واتبع الأمر الأول، ولا تبتدع" (٣)

وفيه عن عبد الله بن مسعود قال: "عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وإياكم والتنطّع والتبدّع والتعمّق، وعليكم بالعتيق" (٤)

---

(١) مسند أحمد (٤١٤٢ و٤٤٣٧)، سنن الدارمي (٢٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٧٢٨٢)

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١٦٩)

(٤) الإبانة الكبرى (١٧٩)

وفيه عن ابن مسعود أيضا قال: "إنكم اليوم على الفطرة، وستُحْدِثون، ويُحْدَث لكم، فإذا رأيتم محدثا، فعليكم بالهَدْي الأوّل" (١)

وروى أبو داود في سننه بسنده عن عمر بن عبد العزيز [ت ١٠١ هـ] أنّه قال رحمه الله: " أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتّباع سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنّته، وكُفوا مُؤْنته، فعليك بلزوم السّنّة فإنّها لك - بإذن الله - عصمة، ثمّ اعلم أنّه لم يبتدع النّاس بدعة إلّا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإنّ السّنّة إنّما سنّها من قد علم ما في خلافها من الخطإ والزّلل والحمق والتّعمّق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنّهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفّوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم إنّما حدث بعدهم ما أحدثه إلّا من اتّبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنّهم هم السّابقون، فقد تكلّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصَر، وما فوقهم من مَحْسَر، وقد قصّر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنّهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم." اهـ(٢)

---

(١) الإبانة الكبرى (١٩٤)

(٢) سنن أبي داود (٤٦١٢).

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم بسنده عن عمر بن عبد العزيز أيضا أنه قال: "قد علمتم أنّ أهل السّنّة كانوا يقولون: الاعتصام بالسّنّة نجاة، وسيقبض العلم قبضا سريعا." اهـ[١]

وفي الشريعة للآجري بسنده عن عبد الرحمن الأوزاعي [ت١٥٧هـ] رحمه الله قال: "فاصبر نفسك على السّنّة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكفّ عمّا كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصّالح، فإنّه يسعك ما وسعهم." اهـ[٢]

وفي ذمّ الكلام للهروي بسنده عن الإمام مالك [ت١٧٩هـ] رحمه الله قال: "السّنّة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق." اهـ[٣]

وفي ذمّ الكلام للهروي بسنده عن الإمام مالك أيضا رحمه الله قال: "لو أنّ العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئا ثمّ نجا من هذه الأهواء والبدع والتّناول لأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرجو أن يكون في أعلا درجة الفردوس مع النّبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا وذلك أنّ كلّ كبيرة فيما بين العبد وبين الله عزّ وجلّ فهو منه على رجاء وكلّ هوى ليس منه على رجاء إنّما يهوي بصاحبه في نار جهنّم، من مات على

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٣٤٦).
(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٦٧٤).
(٣) ذم الكلام للهروي (أثر٨٨٥).

السّنّة فليبشر من مات على السّنّة فليبشر من مات على السّنّة فليبشر." اهـ[1]

وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي بسنده نقلٌ لأصول السنّة للإمام أحمد بن حنبل [ت٢٤١هـ] رحمه الله من رواية مسدد بن مسرهد وكان مما قاله الإمام أحمد في عقيدته هذه: "وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة؛ فقد علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها"...وقال أيضا فيها: "ثم من بعد كتاب الله سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبيّ، والتابعين من بعدهم، والتصديق بما جاءت به الرّسل، واتباع السنة نجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرا عن كابر"...وقال أيضا فيها: " واحذروا البدع كلها." اهـ[2]

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري [ت٣٧٠هـ] رحمه الله في كتاب الشريعة: "من كان له علم وعقل، فميّز جميع ما تقدّم ذكري له من أوّل الكتاب إلى هذا الموضع علم أنّه محتاج إلى العمل به، فإن أراد الله به خيرا لزم سنن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وما كان عليه الصّحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان من أئمّة المسلمين في كلّ عصر، وتعلّم العلم لنفسه، لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلّمه لله تعالى ولم يكن مراده أن يتعلّمه

(١) المصدر السابق (أثر ٨٧٩)

(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (١٦٨-١٧٠).

للمراء والجدال والخصومات، ولا للدّنيا، ومن كان هذا مراده سلم إن شاء الله تعالى من الأهواء والبدع والضّلالة، واتّبع ما كان عليه من تقدّم من أئمّة المسلمين الّذين لا يُستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أن يوفّقه لذلك." اهـ[1]

فإذا رأيت عظيم شأن السنّة ووصيّة السلف بها فاعلم أنّه لا يستحق أحد وصف السنّة ولا أن يُسمَّى بالسّنّي حتى يوافق كلّ أصول أهل السّنّة، فمن فارق السّنّة في أصل واحد لم يكن سنّيّا.

قال سفيان بن عيينة [ت ١٩٨ هـ]: " السّنّة عشرة، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل السّنّة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السّنّة"، ثمّ ذكر بعدها أصول السّنّة."[2] اهـ

وقال علي بن المديني [ت ٢٤٣ هـ]: "والكلام في القدر وغيره من السنّة مكروه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنّة من أهل السنّة حتى يدع الجدل ويسلّم، ويؤمن بالإيمان."[3] اهـ

(١) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٠).

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للّالكائي (١٧٥).

(٣) المصدر السابق (١٨٦).

وقال البربهاري [ت٣٢٩ هـ]: " ولا يحل لرجل أن يقول فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنّه قد اجتمعت فيه خصال السنّة، فلا يقال له صاحب سنّة حتى تجتمع فيه السنّة كلّها."(١) اهـ

والمبتدع كذلك، يستحق اسمه بمخالفة السنّة في أصل واحد، وإن وافق في بقيّة الأصول.

قال حرب الكرماني [ت ٢٨٠ هـ] في بداية عقيدته التي حكى عليها الإجماع:

"هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنّة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء العراق، والحجاز، والشام وغيرها عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنّة وسبيل الحق."(٢)

ثمّ بيّن بعد هذا معتقد أهل السنّة وذكر ما يخالفه من المعتقدات، ثم قال: "فمن قال بشيء من هذه الأقاويل، أو رآها، أو هَوِيَها، أو رضيها، أو أحبّها، فقد خالف السنّة، وخرج من الجماعة، وترك الأثر، وقال بالخلاف، ودخل في البدعة، وزال عن الطريق."(٣) اهـ

(١) شرح السنة للبربهاري (١٢٢).

(٢) كتاب السنّة من مسائل حرب بن إسماعيل الحنظلي الكرماني (٣٣).

(٣) المصدر السابق (٧٠).

فالسنّي اسم يصدق على من جمع خصال السنّة ووافق السنّة في جميع أصولها، في باب التوحيد، وباب الأسماء والصفات، وباب القرآن، وباب الإيمان، وباب القدر، وباب الِاتّباع، وباب الصّحابة، وباب الخلافة والإمارة، وباب أشراط الساعة واليوم الآخر، فيكون من استحق اسم السنيّ في كلّ هذه الأبواب على أصول أهل السنّة ولا يخرج عن ذلك.

وكلّ من خرج عن أصل واحد من أصول أهل السنّة والجماعة كان مبتدعا ضالّا وإن وافق في بقيّة الأصول، فمن خالف في باب واحد من هذه الأبواب خرج عن السنّة وكان على البدعة، إمّا بدعة مكفّرة، أو بدعة غير مكفّرة، على حسب المخالفة على تفصيل في ذلك.

فالسنّة في باب التوحيد، عبادة الله وحده والموالاة فيه وتكفير من ترك ذلك، والبراءة من الشرك و معاداة أهله وتكفير من فعله.

والسنّة في باب الأسماء والصفات، إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

والسنّة في باب القرآن، أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق تكلّم به بحرف وصوت، ومن قال القرآن مخلوق أو توقّف كفر.

والسنّة في باب الإيمان، أنّ الإيمان قول وعمل ونيّة واتّباع للسنّة يزيد وينقص وأهله يتفاضلون فيه، وأنّ الاعتقاد والقول والعمل كلها أركان في الإيمان لا

يجزئ واحد منها إلّا مع هذه الثلاث، وأنه يُستثنى في الإيمان فيقول أنا مؤمن إن شاء الله فلا يقول أنا مؤمن، وشر منه أن يقول أنا مؤمن حقا.

والسنّة في باب القدر، أن تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومرّه كل من عند الله وأن أفعال العباد من طاعة ومعصية كلّها مخلوقة، يهدي سبحانه من شاء له الهداية بفضله، ويضل من شاء له الضّلال بعدله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾

والسنّة في باب الاتباع، أن تتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضوان الله عليهم، فلا تخرج عن سبيلهم، وتجتنب الرأي والأقيسة.

والسنّة في باب الصحابة، أن تذكر كلّ الصّحابة بخير، وتترضى عنهم جميعا، وتكفّ عمّا شجر بينهم، وتحبّهم، وتوقّرهم، وتقدّم أبا بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليا.

والسنة في باب الخلافة والإمارة، أن تسمع وتطيع للأمير في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وأن لا تنازع الأمر أهله ما لم تر كفرا بواحا عندك فيه من الله برهان، مثل تبديل الشريعة والحكم بالقوانين المصادمة للشّريعة وموالاة المشركين.

والسنّة في باب أشراط الساعة واليوم الآخر، أن تؤمن بما ثبت في الكتاب والسنّة ولا تردّه برأي ولا قياس.

وتفصيل هذا كلّه يطول فاقرأه من عقائد السلف وكتب السنّة وكن معتنيا بهذه الأبواب جمعا لأدلتها واطلاعا على آثار السلف فيها، والمقصود أنّ من خالف في أصل واحد من هذه الأبواب خرج عن السنّة ولم يكن من أهلها واستحق أن يعامل معاملة أهل البدع من إغلاظ وهجران، ومن تأمّل حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الخوارج اتضحت له هذه القاعدة بجلاء.

فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " يخرج في هذه الأمّة قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم – وفي حديث: يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم – يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدّين مروق السهم من الرميّة – وفي حديث: لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد. وفي حديث: قتل ثمود –".[1]

فلاحظ كيف أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم لم يجعل حسن صلاتهم وصيامهم مانعا من مروقهم ولحوقهم بالبدعة وخروجهم عن السنّة.

والحاصل أنّه يجب العناية بهذين الأصلين تعلما وتبصرا وعملا، ومن نصح لنفسه أدام النظر في الكتب المبيّنة لهذين الأصلين، فبعد كتاب الله عزّ وجلّ وكتب حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ينبغي العناية بكتب أئمّة السنّة

(١) صحيح البخاري (٦٩٣١، ٣٣٤٤، ٤٣٥١)، صحيح مسلم (١٠٦٤).

الذين شهدت لهم الأمّة بالإمامة في الدّين ويجعلها أصلا في هذا الباب ومن ذلك:

- كتاب الرد على الزنادقة والجهميّة للإمام أحمد بن حنبل [ت٢٤١ هـ].
- وكتاب خلق أفعال العباد لمحمد بن إسماعيل البخاري [ت٢٥٦ هـ].
- وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي [ت٢٨٠ هـ].
- وكتاب نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهميّ العنيد فيما افتراه على الله في التوحيد لعثمان بن سعيد الدارمي أيضا.
- وكتاب السنّة لحرب بن إسماعيل الكرماني [ت٢٨٠ هـ].
- وكتاب السنّة والرد على الجهميّة لعبد الله بن الإمام أحمد [ت٢٩٠ هـ].
- وكتاب السنّة للخلّال [ت٣١١ هـ].
- وكتاب شرح السنّة للبربهاري [ت٣٢٩ هـ].
- وكتاب الشريعة للآجرّي [ت٣٦٠ هـ].
- وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري [ت٣٨٧ هـ].
- وكتاب الإبانة الصغرى لابن بطة أيضا.
- وقد جمع الشيخ عادل آل حمدان الغامدي جملة من عقائد السلف ورسائلهم في كتاب " الجامع في عقائد ورسائل أهل السنّة والأثر" حيث

حوى هذا الكتاب ستين عقيدة من عقائد أهل السنّة، وهو في غاية النّفاسة.

- كما قام الشيخ عادل آل حمدان أيضا بجمع عشر كتب في الإيمان لأئمة السنّة وأهل العلم في كتابه "الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة" وهو كتاب نفيس في بابه بل هو من أنفس ما جمع في هذا الباب.
- وله أيضا جمع طيب لقواعد الأسماء والصفات في كتابه الماتع "الاحتجاج بالآثار السلفيّة على إثبات الصفات الإلهية والردّ على المفوّضة والمشبّهة والجهميّة".
- ولشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة رحمه الله جملة من الرسائل الطيّبة فمنها "العقيدة الواسطية"، و"الفتوى الحمويّة الكبرى"، و"قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادة أهل الإسلام والإيمان وعبادة أهل الشرك والنّفاق".
- وكتب أئمة الدعوة السلفية النجديّة وعلى رأسهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب ومن ذلك "الأصول الثلاثة" و"القواعد الأربعة" و"كتاب التّوحيد" وشروحه "فتح المجيد للشّيخ عبد الرّحمن بن حسن" و"قرّة عيون الموحّدين للشّيخ عبد الرّحمن بن حسن أيضا" وكتاب "مفيد المستفيد في كفر تارك التّوحيد" لمحمد بن عبد الوهّاب أيضا، وكتب

الشّيخ عبد اللّطيف بن عبد الرّحمن بن حسن، مثل "منهاج التأسيس"، وكتب تلميذه الشيخ سليمان بن سحمان عليهم جميعا رحمة الله، ومن ذلك المطالعة في "الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة" جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

فكن رحمك الله معتنيا بهذه الكتب، واجعل لها نصيبا من وقتك، وأدم النظر فيها، عسى الله أن يفتح عليك ويعصمك من الزلل.

فهذه وصيّتي لعموم المسلمين بالتوحيد والسنّة أحتسبها لله عزّ وجلّ عسى أن ألقى بها ربّي فتكون لي سببا في الغفران والله ولي التوفيق.

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (غافر: ٤٤)

هذا والله تعالى أعلم وأحكم وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو المهند شكري بن التوفيق بن عثمان